

# لن تسقط الذاتية الإسلامية في الإحتواء العالمى أو الأممية

د. ساذنور الجندى

في رباط دائم الى يوم القيامة شأنها شأن اهل الجهاد بالسيف .

ان الفكرة التى تداولها اليوم دوائر الاستشراق والتغريب معا ، ويلتقى فيها الاستشراق اليهودى الصهيونى مع الفكر الغربى الليبرالى ونجد على رأسها ارنولد توينبى الذى توفى مؤخرا وجاهك برك معا على الرغم من الاختلافات العميقة فى المناهج والثقافة والاتجاه ، هى فكرة التبشير بالدعوة الى انسلاخ الفكر الاسلامى والمجتمع الاسلامى من « بعض قيمه » حتى يستطيع ان يلتقى بالفكرة العالمية او الحضارة العالمية او اسلوب العيش الغربى كما يطلقون عليه .

انهم يلحون على هذه الفكرة بالرغم من عدم صلاحيتها ، اساسا ، وبالرغم من عدم قدرة الفكر الاسلامى على تقبلها ، وبالرغم من انها ليست حتمية بوجه واحد من الوجوه . لماذا يريدون من العالم الاسلامى والمجتمع الاسلامى ان يفقد شخصيته وذاتيته حتى يستطيع ان يصل الى مكان الامم الغربية فى الحضارة والعلم والتكنولوجيا .

وامامنا عشرات الامثلة على فساد هذا الترابط بين المدنية المادية والحضارة كمقيدة وقيم فكرية ، ولماذا لم تفعل ذلك اوريا حين نقلت المنهج العلمى التجريبي من المسلمين دون ان تنقل مفاهيم الشريعة الاسلامية ، بل وحين نقلت بعض قوانين هذه الشريعة دون البعض الآخر ، ولم يقل احد يومها ان الغرب عجز دون التقدم .

ان هناك حقيقة قائمة ، وهى واقع تاريخى متكرر ، ان الامم من شأنها ان تقتبس من شؤون المعرفة والعلم

ان « ذاتية العرب الاسلامية » : التى تواجه اليوم اخطر تحدياتها من حيث تهب عليها عواصف التيارات الاستشراقية ، ومن حيث تهب عليها تحديات الصهيونية العالمية فى الارض المحتلة ، ومن وراء ذلك كله : ايدولوجيات متعددة شرقية وغربية ، ماركسية ولبيرالية ، هذه الذاتية يجب ان تكون قد عرفت نفسها وحددت موقفها من كل هذه الاخطار .

ولا نكون مبالغين اذا قلنا ان هدف التحالف الاستعمارى الصهيونى المادى المركز هو ازاحة هذه الذاتية والقضاء عليها وابادتها لانها هى وحدها — وليس اى شئ آخر — الخطر المائل امام القوى الراغبة فى احتواء عالم الاسلام والسيطرة عليه سيطرة فعلية ، متصلة .

وما زال هذا الهدف قائما منذ بدأت حركة الاستعمار وحركة الاستشراق والتبشير والتغريب ، وهى تمضى حثيثا الى غايتها عن طريق الارساليات والمعاهد والجامعات والثقافة والصحافة ، ولكن حركة اليقظة الاسلامية التى كانت قد سبقت على الطريق والتى تنبئت تماما لكل هذه التحديات بالرغم من عزلها عن مجال النفوذ السياسى القادر المسيطر ، وامتياز التغريب بالسيطرة على كل مجالات النفوذ ، بالرغم من هذا ولانها تستمد قوتها من الفطرة ومن الاصاله ومن الحق ، ولانها تدعو الى التماس المنابع والعودة الى الاصول ، والتماس المفهوم الصحيح للقيم ، لانها كذلك فقد استطاعت ان تشرق طريقها وان تحطم قوى الغزو واحدة بعد اخرى ، وما تزال تشرع اسنة افلامها فى الميدان لا تتوقف عن المقاومة ، وهى بحق



ما تشاء ولكنها لا تستطيع ان تعتنق عقيدة الحضارة  
الآخري ولا ثقافتها ولا قيمها الروحية والفكرية والتقنية  
والاجتماعية .

وان المسلمين لا ينقصهم شيء في طريق التقدم الا  
هذا الجانب من العلم التجريبي الذي انشأوا شجرته،  
ثم اهلوها حتى نهاها الغرب ، وهم لا يحتاجون الى  
شيء سواه ليصوغوه في اطار لغتهم وفكرهم وينموه  
ليصلوا به الى ما وصل اليه الغرب من تقدم مادي  
ولكنهم لن يخضعوا ولن يذلوا ولن يستعبدوا لعقيدة  
الحضارة الغربية عقيدة اصابها الفساد الكثير وتعيش  
الآن محتتها وأزمتها ، وان اصدقاء العرب والمسلمين  
الذين يظنون انهم يصدقونهم القول حين يدعونهم الى  
الانخلاع عن عقائدهم الروحية والقومية والثقافية  
ليندمجوا في اتون الحضارة العالمية او ينصهروا في الامية  
او يذوبوا في الدولية او تحتويهم هذه الدعوات ، ،  
هؤلاء ليسوا صادقين وليسوا مخلصين للعرب والمسلمين،  
لان النصيحة التي يمكن ان توجه للمسلمين والعرب  
هي ان يحتفظوا بذاتيتهم وان يتمسكوا بمقدراتهم وان  
يعيشوا عقيدتهم وقيمهم ولو تأخر بهم امر هذا التقدم  
المادي سنوات وسنوات على ان يفقدوا ذاتيتهم  
ويصبحوا شيئاً لا قيمة له في الاطار الواسع : اطار  
الاقوياء الذين يترنحون الآن تحت ضربات المادية  
والصهيونية العالمية التي تحتويهم وتحاول ان تحطم  
مجتمعاتهم .

ان « الاصاله » في مفهوم العرب والمسلمين  
تختلف كثيرا عن مفهوم جاك بيرك وارنولد توينبي ،  
وهي ليس دخولا في مرحلة الاحتواء الغربي باى شكل  
كان ، وان الذين يستمعون الى هذه الوجهة او يحاولون  
تحقيقها سوف تجرفهم سنن الحضارات ، وسوف  
تستعيد الحضارة الاسلامية عقيدتها كاملة ، لتحضر  
البشرية ، وسوف لا تستطيع الدعوة العالمية ومن وراءها  
وقد انكشفت اهدافها ، ان تخدع المسلمين والعرب بعد  
نكسة 1967 - فقد ذهب الكثيرون خلال هذه السنوات  
يجرون وراء بريق الدعوة الغربية ظنا منهم انها صادقة  
مخلصة ثم انكشفت لهم الحقائق ولم يجدوا امامهم الا  
ذلك الخطر الصهيوني المدمر الذي ورث النفوذ  
الاستعماري الغربي ويحاول الآن ان يستوعب كل ما  
كان له من نفوذ .

وكذلك فان الفكر الاسلامي لا يؤمن بما يدعيه

بعض المفكرين من ان الاستشراق قد انتهى دوره وان  
المحاولات المحصورة الآن تدخل تحت اسم التحليل  
الاجتماعي ، ونحن نعرف ان الاستشراق قد دخل  
مرحلة جديدة اكثر خداعا واكثر تمويهها وانها تحاول الآن  
ان تستقطب مجموعة جديدة من الكتاب يدعون انهم  
كانوا غافلين عن جوهر الفكر الاسلامي وانهم لم يتلفتوا  
اليه الا اليوم ، ثم هم يعيدون النظر فيه من جديد وقد  
يصفق لذلك بعض السذج كما صفقوا من قبل عند ما  
كتب طه حسين هامش السيرة ، ولقد يحاول هؤلاء  
الكتاب ان يخدعوا قراءهم ، كما فعل مرجليوت وجولد  
زيهر وبرنارد لويس وغيرهم بمحاولات الاغراء الكاذب  
بالاحتفال بالاسلام ثمة ، ثم هم يثيرون حوله اشد  
الشبهات واكثرها ضللا .

واذا جاء ابناء العربية اليوم من اتباع المدارس  
الفربية وقد كان بعضهم على مذهب اوجست كونت او  
ماركس او نيتشه او غيره ليتحدثوا عن الاسلام فنحن  
لا نقبل منهم ما يقولون الا تحت شرط واضح وقاعدة  
اساسية تتمثل في سؤال واحد هو : هل يؤمنون  
بالوحي ؟

ذلك ان الظاهرة الخطيرة التي تتمثل الآن في  
كتابات الاستشراق ، هي محاولة تكريم سيدنا محمد  
صلى الله عليه وسلم ولكن لا على انه نبي مرسل من  
عند الله وان القرآن كتاب الله الموحى به اليه ، ولكن  
على انه « مصلح عظيم » او « نبي الحرية » او عبقرى  
او بطل او ما الى ذلك من صفات تطلق على المصلحين  
الارضيين لا على انبياء الله المرسلين بالحق .

ولقد يذهب بعض هؤلاء الى الادعاء بان الوحي  
ما هو الا صورة العقل الباطن ، او ينسبون الى النبي  
انه رجل استوعب ثقافات عصره ، وهو الامي الذي  
لم يخط حرفا ولم يقرأ كتابا ، او يقولون انه مصلح  
عظيم وجد امة مستعدة للنهضة فنهض بها حينما امضى  
الرسول ثلاثة عشر عاما يدعو الى الله فلم يجد غير  
المقاومة والظلم والاصرار على الجاهلية في رباها  
وفحشها ومساءتها ، كل هذه النظرات الباطلة يحاول  
بعض الاستشراق ان يغير الحقائق وان يقول غير ما  
وقع فعلا ، ونحن نعلم ان هذا هو طابع الاستشراق  
الجديد ، الذي غذته الصهيونية والذي يصفه جاك بيرك  
وغيره بأنه تحليل اجتماعي .

ان هذه الامة تعرف طريقتها . وتعرف الاسلوب

لوحيد الذى يردّها الى مكانها . والمنهج الصحيح الذى  
قام حضارتها ولن تختلف بها الطرق ابدا ما دامت  
تستهد ضوؤها من القرآن .

ولقد كان توينبى يعرف ويعرف اليوم بـ « برك » ان  
هذه الامة لا تصر على شىء قدر اصرارها على المحافظة  
على ذاتيتها والرفض بالسماح لشخصية الاسلام  
والحضارة ان تتلاشى او تذوب فى شخصية حضارة اخرى  
وتعرف ان ذلك هو « السر » فى كل انتصاراتها قس  
معاركها مع الصليبيين والتتار والفرنجة والاستعمار

والصهيونية وفى الجزائر ، والهند ومصر والباكستان  
وسوريا وفلسطين . . .

ان الشخصية العالمية مهما قويت فهي قائمة على  
الظلم والاستغلال والاستعمار ولذلك فهي رائقة تستطيع  
الحضارة الغربية ان تعطى الانسانية أملها وروحها  
وايمانها ، وستظل الشخصية الاسلامية قائمة وقادرة  
على الثبات حتى تنتصر ولن تذوب او تحتوى مهما  
تجمعت عليها كل قوى الفكر الصهيونى التلمودى او  
الفكر الغربى المسيحى .

القاهرة — أنور الجندى

